

الزربية كوثيقة أثرية ومرآة للهوية الثقافية الجزائرية

The Carpet as an Archaeological Document and a Mirror of Algerian Cultural Identity

نيشان محمد الأمين¹، جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان، مخبر التراث الأثري وتشمينه، الجزائر،

nichanemedamine8@gmail.com

نهاد فرح²، جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان، مخبر التراث الأثري وتشمينه، الجزائر،

foufette2807@gmail.com

تاريخ النشر: 2026/06/30

تاريخ القبول: 2026/06/20

تاريخ الاستلام: 2026/05/21

ملخص:

تعد الزربية جزءا لا يتجزأ من التراث الثقافي الجزائري، فهي لا تعبر فقط عن مهارة الحرفيين المحليين، بل تعكس أيضا الهوية التاريخية والاجتماعية والثقافية لكل منطقة من مناطق الجزائر. تحمل الزربية رموزا وزخارف هندسية ونباتية وحيوانية، تمثل القيم والمعتقدات الاجتماعية، وتروي قصة المجتمع الذي أنتجها. من خلال دراسة الزربية، يمكننا فهم التقاليد، ونمط الحياة، والخصوصيات الثقافية للشعوب الجزائرية عبر العصور، مما يجعلها عنصرا أساسيا في تعزيز الهوية الوطنية والحفاظ على التراث.

كلمات مفتاحية: الزربية الجزائرية؛ الرموز والزخارف التقليدية؛ التنوع الإقليمي؛ صون التراث.

Abstract:

The carpet is considered an integral part of Algerian cultural heritage. It not only reflects the skills of local craftsmen but also expresses the historical, social, and cultural identity of each region in Algeria. The carpet carries geometric, plant, and animal motifs that represent social values and beliefs, and it tells the story of the society that produced it. Through the study of carpets, we



can understand traditions, lifestyles, and the cultural specificities of Algerian communities across different historical periods, making it a key element in strengthening national identity and preserving heritage.

Keywords: Algerian carpet; traditional motifs and symbols; regional diversity; heritage preservation.

مقدمة:

تعد الزربية الجزائرية إحدى أبرز تجليات الصناعة التقليدية التي تعكس عمق الذاكرة التاريخية والهوية الثقافية للمجتمع الجزائري، إذ تمثل أكثر من مجرد منتج نسيجي، بل تجسد وثيقة مادية تحمل في طياتها رموزا ودلالات ورسومات تعبر عن أنماط العيش والتحويلات الاجتماعية عبر مختلف الأزمنة، فكل زربية تعد سجلا بصريا مفتوحا على التاريخ، تدون فيه خبرة الأجيال وتعبر من خلاله النساء الحرفيات عن إبداعهن المتوارث جيلا بعد جيل.

وتكتسي الصناعة التقليدية، وعلى رأسها حرفة النسيج، أهمية بالغة في الوقت الراهن، باعتبارها موردا اقتصاديا واعدًا ومجالا حيويًا للتنمية المستدامة في الجزائر، خاصة في ظل ما تمتلكه البلاد من تنوع ثري في المنتجات الحرفية، كما أن الحفاظ على هذا التراث ونقله للأجيال يعد ضرورة ثقافية وتربوية، لأنه يساهم في صون الهوية الوطنية وترسيخ الارتباط بالمووروث الأصيل، إضافة إلى كونه وسيلة رزق لعدد معتبر من الحرفيين.

وتعرف الصناعات التقليدية بأنها كل نشاط إنتاجي أو إبداعي أو ترميمي أو خدمي يغلب عليه الطابع اليدوي، ويعتمد أساسا على الجهد العضلي والأدوات البسيطة، مع ارتباطه الوثيق بالخبرة المتوارثة، فهي حرف ذات جذور تاريخية قديمة استمرت عبر الأجيال، حيث ورثها الأبناء عن الآباء والأجداد، مما جعلها عنصرا ثابتا في الذاكرة الجماعية.

وفي هذا السياق، تبرز الزربية الجزائرية كرمز فني وثقافي متميز، إذ تلقب بـ"عروس الصناعات التقليدية"، كونها تعكس بدقة تفاصيل الحياة اليومية من خلال زخارفها ورموزها التي توثق أنماط العيش والتفكير في مختلف الفترات التاريخية، كما أكد الباحثون، ومنهم أبو القاسم سعد الله، على أن النسيج كان من الصناعات التي افتخرت بها الجزائر، حيث شكل قطاعا حيويًا وأسواقا رائجة في مختلف مناطق البلاد.

وانطلاقا من هذا الإطار، تطرح الإشكالية التالية: إلى أي مدى يمكن اعتبار الزربية الجزائرية وثيقة أثرية

ومصدرا بصريا يعكس الهوية الثقافية الجزائرية ويحافظ على استمراريتها عبر الزمن؟



1.. الإطار المفاهيمي:

1.1.. تعريف الزربية:

يقصد بمصطلح الزربية في المعجم العربي السجاد المصنوع من الصوف، وهو كل ما يبسط على الأرض ويداس بالأقدام، سواء كان ذا وبر قصير أو مزودا بعقد¹، كما وردت كلمة زراي في القرآن الكريم في قوله تعالى: "وزراي ماثوثة"²، في إشارة إلى البسط المفروشة، وتعرف الزربية أيضا بأنها كل ما يفرش ويُنكأ عليه من الطنافس³.

الفراش الوثير من القطن والوبر ونحوهما، وقد وردت اللفظة بمعناها ومبناها في القرآن الكريم، وجاء في اللسان: "زراي البسط، وقيل كل ما بسط واتكى عليه، وقيل هي الطنافس، وفي الصحاح النمارق والواحد من كل ذلك زربية بفتح الزاي وسكون الراء"⁴.

وقد سميت السجاجيد عند العرب بعدة تسميات منها الطنافس والقطيف أو القطيفة، والقطيف عرف بأنه بساط له خمل، وأن لفظة القطيف معروفة قبيل الإسلام وذلك في صدر الإسلام، وفي المعاجم اللغوية ذكرت في لسان العرب لابن منظور أن الاسم (طنفسة) في حين ذكرها ياقوت الحموي في معجم البلدان باسم (قطيفة)⁵.

2.1.. مفهوم الصناعة والحرف التقليدية:

فقد جاء في معجم اللغة العربية لأحمد مختار عمر أن الصناعة هي: "تعرف بأنها كل علم أو فن يمارسه الإنسان حتى يتقنه ويصبح حرفة، مثل الحياكة والطب وغيرها، وهي كذلك الطريقة المنظمة التي تتبع في إنجاز عمل يدوي أو ذهني"⁶.

¹ بن خنافو حياة فتيحة، فن الزخرفة الخطية في الصناعات التقليدية بتلمسان "دراسة تاريخية فنية"، رسالة ماجستير في الثقافة العربية، تخصص فنون شعبية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تلمسان، 2015، ص 73.

² سورة الغاشية، الآية 15-16

³ بن عبد الله رشيدة، تصميم إعلان لمهرجان المنسوجات التقليدية الجزائرية - زربية غرداية أنموذجا-، مذكرة ماستر غرافيك، قسم الفنون البصرية، كلية الأدب العربي والفنون، مستغانم، 2020، ص 37.

⁴ أحمد أبا الصافي جعفري، اللهجة التواتية الجزائرية معجمها بلاغتها أمثالها حكمها وعيون أشعارها، منشورات الحضارة للنشر والتوزيع، ص 144.

⁵ ناهض عبد الرزاق القيسي، الفنون الزخرفية العربية والإسلامية، دار المناهج للنشر والتوزيع، الأردن، 2009، ص 129.

⁶ أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط 1، مجلد 1، عالم الكتب، 2008، ص 1234.

كما يبين صاحب كتاب الدلالات السمعية معاني الحرفة والصناعة والعمل، حيث يعرف الحرفة بأنها وسيلة للكسب يزاولها الإنسان، ويُقصد بها أيضا صناعته، إذ يقال: المحترف هو الصانع، وحرفة الرجل صناعته، أما الصناعة فهي حرفة الصانع، أي العمل الذي يتقنه ويبدع فيه، ويقال: رجل صنيع اليدين، أي ماهر حاذق، وكذلك امرأة صناع اليدين أي متقنة لما تقوم به. وقد استخدمت الحرفة والصناعة أحيانا بمعنى واحد، حيث تدلان على النشاط الذي يمارسه الإنسان لكسب رزقه¹.

تعرف الحرفة في الاصطلاح بأنها المهنة أو الصناعة التي يعتاش منها الإنسان، فهي مصدر للكسب ووسيلة للرزق، ويطلق هذا المصطلح على كل عمل يزاوله الفرد، إذ اعتبرها العرب مرادفة للصناعة، وقد روي عن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) قوله: "إني لأرى الرجل فيعجبني، فأقول: هل له حرفة؟ فإن قالوا: لا، سقط من عيني"، مما يبرز قيمة الحرفة في نظرهم باعتبارها أساسا للمعاش ووسيلة للاعتماد على النفس².

ترتبط الحرفة ارتباطا وثيقا باليد، باعتبارها من أبرز أعضاء الجسم التي تحول الدوافع والرغبات الإنسانية إلى مظاهر فنية مادية ملموسة، فمنذ نشأة الإنسان، عمل على توظيف يده وقدراته العظيمة لصناعة أدواته وأغراضه المختلفة، وينسب إلى العصر الحجري ظهور البدايات الأولى للفن البدائي، الذي تجلّى في الأدوات الحجرية مثل الفؤوس وأدوات الصيد، إضافة إلى التماثيل الصغيرة والرسوم الملونة على جدران الكهوف، وهذا يدل ببساطة على أن الحرفة تعد شكلا من أشكال الإنتاج الإنساني³.

يخصص ابن خلدون في مقدمته فصولا متعددة للصنائع بدل الحرف، وكأنه يسعى إلى توحيد المصطلح، ويصنفها إلى نوعين: صنائع ضرورية، مثل الفلاحة والبناء والخياطة والنجارة والحياكة، وصنائع شريفة من حيث موضوعها، كالتوليد والكتابة والوراقة والغناء والطب⁴.

¹ وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان الإسلامية بين التراث العمراني والمعماري والميراث الفني، ج 2، أعمال ملتقى دولي بتلمسان، 2011، ص 26.

² عبد المعطي بن محمد عبد المعطي سمس، المنظور الاجتماعي والاقتصادي للحرف والصناعات بمكة قبيل البعثة من خلال كتاب الفاكهي، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، العدد 26، جامعة بابل، 2016، ص 70.

³ شريف محمد عوض، الصناعات الحرفية طريق للتنمية المستدامة، مجلة الفنون الشعبية، العدد 89، 2011، ص 08.

⁴ وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، المرجع السابق، ص 26.



بالمفهوم العام، تعرف الصناعة التقليدية بأنها كل نشاط يغلب عليه العمل اليدوي، مع إمكانية الاستعانة ببعض الآلات، ويهدف إلى إنتاج أشياء ذات منفعة أو طابع تزييني تحمل طابعا تقليديا وفنيا، يعكس مهارات متوارثة عبر الأجيال.

ويتضح من ذلك أن الصناعات التقليدية تتميز بثلاث خصائص أساسية:

غلبة العمل اليدوي مع إمكانية استخدام بعض الآلات.

الطابع النفعي (الاستعمالي) للمنتج.

الطابع التزييني أو الجمالي الذي يميّز المنتج التقليدي¹.

2.. تقنيات صناعة الزرابي ومراحل نسجها التقليدية:

1.1.2.. تقنيات صناعة الزرابي وأدواتها التقليدية:

مهما اختلف نوع الزربية أو نموذجها، فإنها تمر عموما بنفس المراحل الأساسية في عملية صنعها، وتعد هذه الحرفة من الصناعات التقليدية ذات الطابع البسيط والبدايي، وقد رافقت الإنسان منذ بداياته الأولى في سعيه لتوفير الدفء، وتعتمد هذه الصناعة أساسا على مادة الصوف، التي تخضر عبر مراحل متتالية قبل أن تصبح صالحة للاستعمال، حيث تنقى من الشوائب بعد جزها بمقص خاص، لتهيأ بعد ذلك للدخول في مراحل النسج المختلفة.

1.1.2.1.. مرحلة غسل الصوف:

تعد عملية غسل الصوف من أبسط المراحل، إذ تنجز غالبا في البساتين دون الحاجة إلى تقنيات معقدة أو مكلفة، حيث تسخن كمية من الماء في قدر كبير حتى تصل إلى درجة الغليان، ثم يوضع الصوف داخله ويحرك بواسطة عمود لفترة معينة، بعد ذلك ينقل إلى أحواض مملوءة بالماء ليترك منقوعا، مما يساعد على تفكيكه وتنظيفه، وفي المرحلة الأخيرة يجفف الصوف في الهواء الطلق تحت أشعة الشمس، مما يساهم في إزالة الشوائب العالقة به (الصورة رقم 01).

¹ فاطمة سوري، الصناعات التقليدية كمصدر لترقية السياحة والاستثمار السياحي منطقة اهقار نمونجا، مجلة الاجتهاد للدراسات القانونية والاقتصادية، العدد 05، المجلد 07، 2018، ص 268.



2.1.2.. مرحلة مشط الصوف:

تتم عملية تمشيط الصوف باستعمال مشط كبير الحجم، تتراوح أبعاده بين (60 إلى 80 سم) طولاً و(15 إلى 20 سم) عرضاً، ويحتوي على ما بين 18 إلى 20 سناً، يبلغ طول السن الواحد ما بين (10 إلى 15 سم)، وتساعد هذه العملية على إزالة ما تبقى من الشوائب العالقة بالصوف، كما تعد مرحلة تمهيدية لعملية الغزل، حيث يتم خلالها فرز الخصلات القصيرة عن الطويلة (صورة رقم 02).



3.1.2.. مرحلة القردشة:

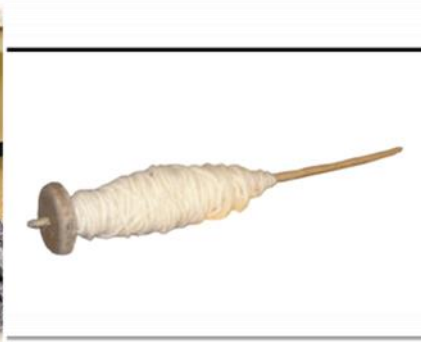
تأتي مرحلة القردشة بعد عملية التمشيط، حيث تستخدم لمعالجة الخصلات القصيرة والمجعدة بهدف بسطها وتسهيل عملية الغزل، وتنجز هذه العملية باستعمال أداة تقليدية تسمى «القرداش»، وهي تتكون من لوحين خشبيين يبلغ مقاس كل منهما حوالي (20 سم طولاً و18 سم عرضاً)، مزودتين بمقبض خشبي

أسطواني الشكل، وتثبت على اللوحتين أسنان حديدية مائلة ومشدودة في اتجاه المقابض، تساعد على تفكيك الصوف وتهيئته لمرحلة الغزل (الصورة رقم 03).



4.1.2.. مرحلة الغزل:

تتم مرحلة الغزل بعد عمليتي التمشيط والقردشة، حيث تغزل الخصلات الطويلة المتحصل عليها للحصول على خيوط صوفية خشنة وغليلة باستعمال أداة تسمى «أزضي»، أما إذا أريد الحصول على خيوط رقيقة، فيستعمل مغزل أصغر حجما يعرف بـ "إنشي"، وتعتمد هذه المرحلة على قيام المرأة بوضع المادة الصوفية على المغزل ثم تدويره باستمرار حتى يلتف الخيط حوله، وبعد امتلائه، ينزع الخيط ويعاد لفه على شكل لفافات تعرف بـ«تبنّت»، مع تكرار العملية إلى غاية الانتهاء من غزل كامل الكمية، مع عقد الخيوط لمنع تشابكها (الصورة رقم 04-05).





5.1.2.. مرحلة الصباغة:

تعد مرحلة الصباغة عملية تلوين الصوف باستعمال أصباغ طبيعية في أغلبها، تستخرج من مصادر نباتية أو حشرية، فمنها ما يستخلص من النباتات مثل الفوة للحصول على اللون الأحمر، أو من الزعفران وشجرة الكرم لإنتاج اللون الأصفر، كما يستعمل قشر الرمان أو نبات العفص والحناء للحصول على اللون البني، بينما يستخرج اللون الأزرق من نبات النيلة، وتبرز هذه المرحلة اعتماد الصناعة التقليدية على الموارد الطبيعية في إنتاج ألوان متنوعة¹ (الصورة رقم 06).



¹ مرزوق عبد العزيز، الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1974، ص 123.



2.2.. مراحل نسج الزرابي من الإعداد إلى الإخراج النهائي:

1.2.2.. الآلات المستعملة في صناعة الزرابي التقليدية:

- النول العمودي:

يسمى هذا الإطار "المنسج"، وهو جهاز يوضع عموديا وتكون أبعاده تقريبا بين (1.60 م إلى 1.80 م) ارتفاعا، و(1 م إلى 2 م) عرضا.

ويتكون المنسج من عارضتين أساسيتين: عارضة حديدية علوية مفتوحة الأطراف تثبت على الصاعدين وتلف عليها خيوط السداة، بالإضافة إلى عارضة سفلية تثبت في قاعدة الإطار ويلف عليها النسيج أثناء عملية النسج.

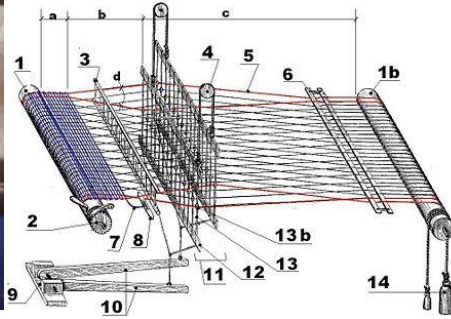
- الصواعد أو القوايم:

هي من مادة الحديد أسفلها مثقوبة بثلاثين سم عن الأرض تمر عارضة حديدية قوية في ثقب قاعدتي الصاعدين¹.

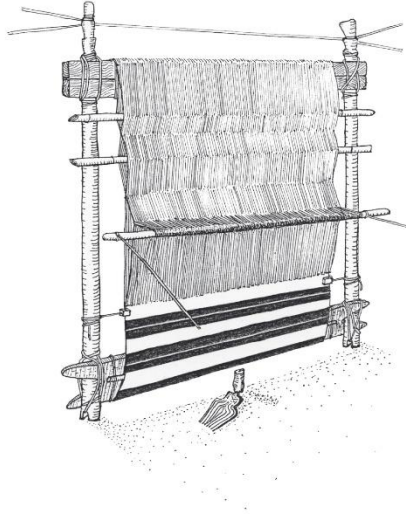
النول الأفقي والنول العمودي يختلفان في البنية وطريقة العمل وطبيعة الإنتاج، ويمكن توضيح الفروق الأساسية بينهما كما يلي:

النول الأفقي: لا يحتوي على درأت، بل يستعاض عنها بقضيبين طويلين يمتدان بعرض النول لفصل خيوط السداة وإحداث فتحة (النفس)، ويعتمد على درأتين لإحداث هذه الفتحة، كما لا يتطلب دكاسات، إذ يقوم عامل آخر غير النساج بمهمة تحريك القضيبين لإحداث النفس، ويحتاج عادة إلى عاملين لإنجاز العملية، كما يستعمل غالبا لنسج قطع ذات زخارف تصويرية معقدة تغطي السطح كله، مما يجعل النسيج في وضعية وقوف لرؤية تفاصيل المشهد المنسوج، ويشترط فيه جانب فني كبير (الصورة رقم 07-08).

¹ منشورات مديرية السياحة والصناعة التقليدية بتلمسان، ص 04.



أما النول العمودي: فيحتوي على درأتين متصلتين بدكاسات يحركهما النساج بواسطة قدميه لإحداث النفس، مما يجعل يديه متفرغتين بالكامل للنسج، ويكفي فيه عامل واحد فقط، ويستعمل غالبا لإنتاج قطع ذات زخارف بسيطة، تكون في شكل أشرطة أفقية محدودة، وليس زخارف تصويرية معقدة كما في النول الأفقي (الصورة رقم 09-10).



- الجبادة من مادة الخشب: تستعمل لاستقامة حاضية الزربية ومنعها من الإعوجاج (الصورة رقم

11-12).



الخلالة من مادة الحديد (الصورة رقم 12).



عود من الخشب (النيرة): يستعمل لتقاطع الخيوط الأفقية والعمودية (الصورة رقم 13).



المقص (الصورة رقم 14).



المشط من مادة الخشب: يستعمل لفرز خيوط ادوة ومن خلالها تحدد الدقة¹ (الصورة رقم 15).



- القرداش:

عبارة عن لوحيتين من الخشب مقاساته حوالي (0.18 - 0.20) مترا عرضا، زودت كلتاها بمقبض

من الخشب ذو شكل أسطواني وقد انتصبت على اللوحتين أسنان حديدية مشدودة في اتجاه المقبضين².

¹ محمد عبد الله الدرايس، الفنون الصناعية والحرف اليدوية، ط1، دار المستقل للنشر والتوزيع، عمان، 2011، ص 92.
² حمادي خالد، عيوب جبارية، الصناعات التقليدية جسر أصالة بين الجلفة وغرداية البرنوس والقشابية الجلفاوية- الزربية الغرداوية، مذكرة ماستر، تخصص إذاعة وتلفزيون، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ص 35.

- المغزل:

آلة درارة لغزل الصوف أو الوبر وجعله على شكل خيوط رقيقة¹ (الصورة رقم 16).



2. 2. 2.. قبل عملية النسيج (التسدية):

قبل البدء في عملية النسيج، تتم مرحلة التسدية (أو إعداد خيوط السداة)، وهي خطوة أساسية يتم فيها تحضير خيوط السداة (Chaîne) التي تمتد عمودياً وبشكل متوازٍ على إطار النول. وتتم هذه العملية بتثبيت وتدين في الأرض على مسافة تتناسب مع طول النسيج المراد إنجازه، حيث تجلس امرأة أمام كل وتد لاستقبال خيط السداة، بينما تقوم امرأة ثالثة بتمرير الخيط ذهاباً وإياباً، وتستعمل كل عاملة خيطاً مزدوجاً لربط دورات السداة حول الوتد، بحيث يساوي طول الخيط المزدوج عرض النسيج النهائي.

وبعد الانتهاء من ربط جميع خيوط السداة، يتم الحصول على سداة منتظمة وثابتة التباعد، ثم تجمع هذه الخيوط وتثبت على الجزء العلوي من النول استعداداً لعملية النسيج².

2. 2. 3.. عملية نسج الزربية:

تعد حياكة البسط من أبسط أشكال النسيج، حيث تتم عبر إدخال خيوط اللحمة بشكل متتال من اليمين إلى اليسار وبالعكس، مروراً فوق وتحت خيوط السداة.

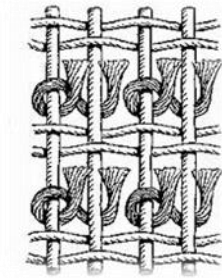
¹ حمادي خالد، المرجع السابق، ص 28.

² حمادي خالد، المرجع السابق، ص 06.

أما حياكة السجاد فهي أكثر تعقيدا، إذ تعتمد على عقد خيوط الصوف مع خيوط السداة، وتتميز بوجود نوعين من العقد، مما يمنح السجاد متانة أكبر وتنوعا في الزخرفة.

– العقدة المفردة:

تتم العقدة المفردة في السجاد بأخذ خصلة من الصوف ولفها حول خيط واحد من خيوط السداة دون الالتفاف حول الخيط المجاور، بل تمر من تحته، بحيث ينتهي طرفا الخصلة في الأعلى فوق العقدة، وينتج هذا الأسلوب شكلا مميزا يعرف بالعقدة المفردة (الصورة رقم 17).



– العقدة المزدوجة:

هي العقدة المزدوجة، وتعد الأكثر استعمالا وشيوعا في حياكة السجاد، وتتم عن طريق لف خصلة من الصوف حول خيطين متجاورين من خيوط السداة معا، ثم يدار طرفا الخصلة خلف هذين الخيطين ويلتقيان في النهاية، ليسحبا معا نحو الأعلى، مما يكون عقدة أكثر متانة وقاسكا (الصورة رقم 18).





يجدر بالذكر أنه عند نسج كل صف من العقد، يتم تمرير خيطين من خيوط اللحمة بشكل متعاكس لضمان تثبيت البنية النسجية، وبعد الانتهاء من حياكة عدة صفوف من العقد على النول، يقص الوبر الزائد باستعمال مقص خاص، ثم تدك هذه الصفوف بواسطة مشط الدك، وذلك لترتيب العقد وتثبيتها بإحكام بجانب بعضها البعض، مما يمنح السجاد تماسكا وانتظاما في الشكل¹.

3.. أنواع الزرابي الجزائرية وخصوصية الصناعة في ولاية تلمسان:

1.3.. أنواع الزرابي الجزائرية:

1.1.3.. الزربية الأمازيغية القبائلية:

تعرف منطقة القبائل في الجزائر بفن حياكة الزرابي، وهو تراث تقليدي أبدعته أنامل نسوية توارثته عبر الأجيال، وينسب استمراره إلى شخصية بارزة تدعى “ناطوس”، وترتبط هذه الحرفة خصوصا بقرية آيت هشام الواقعة على ارتفاع يقارب 1200 متر بولاية تيزي وزو.²

تتميز الزرابي القبائلية بزخارفها التي تعكس حياة المرأة ومحيطها الثقافي، ومن أشهرها زربية “أعبان” ذات الخلفية الداكنة والألوان الزاهية، والتي تعد عنصرا مهما في جهاز العروس³، كما نجد زربية “المعاققة” التي تستعمل في التأثيث والتزيين، وتتميز بجودة صوفها وزخارفها الهندسية الدقيقة المستوحاة من الحلي التقليدية، مثل المعينات والمثلثات والخطوط المتوازية⁴ (الصورة 19).

¹ محمد عبد الله الدرايس، المرجع السابق، ص 101-102.

² ذهبية أيت قاسي، الثقافة الشعبية في البرامج الثقافية الناطقة بالأمازيغية في التلفزيون الجزائري (القناة الرابعة) دراسة وصفية تحليلية لبرنامج توزيع، شهادة ماجستير، تخصص علوم الإعلام والإتصال، المدرسة الدكتورالية للعلوم الاجتماعية والانسانية، وهران، 2010، ص 176.

³ نفسه، ص 176.

⁴ مطوية وزارة المؤسسات الصغيرة والمتوسطة والصناعة التقليدية والوكالة الوطنية للصناعة التقليدية، صناعة تقليدية أصالة إبداع، 2007.



2.1.3.. زربية النمامشة بابار:

تعرف زربية النمامشة "بابار" بنسبة إلى قرية بابار بولاية خنشلة في منطقة الأوراس، وتعد من أشهر وأعلى أنواع الزرابي الصوفية في الجزائر، وتستعمل نساء المنطقة مصطلحات مثل "الدراقة" و "العقدة" و "الحور" للإشارة إلى أنماط مختلفة من هذه الزربية، التي تعكس عمق التاريخ الشاوي وأصالته من خلال أشكالها وألوانها المميزة، كما تعبر الزربية البابارية عن قيم الحياء والخصوصية لدى سكان المنطقة، إذ استعملت زربية "الدراقة" للفصل بين الرجال والنساء داخل البيت، إضافة إلى استخدامها في تأثيث الخيام، وتعد هذه الزربية بمثابة لوحة فنية تحمل رموزا وزخارف مستوحاة من الحياة اليومية للمجتمع الشاوي، مثل رسوم الألعاب التقليدية أو الحللي النسوية¹ (الصورة رقم 21).



¹ زربية بابار الجزائرية تراث المرأة الأوراسية المهده بالإنذار، صحيفة العرب، العدد 10106، 2015، ص 12.



ومن أنواعها أيضا زربية “حراكتا” التي تتميز بزخارف هندسية خاصة، أبرزها شكل “الحراش” على هيئة حرف (M)، إضافة إلى عناصر زخرفية كالميداليات والأشكال النجمية الناتجة عن التكوينات الهندسية¹.

3.1.3 زربية جبال عمور:

تعكس زربية جبال عمور مزيجا حضاريا وثقافيا متنوعا، حيث تأثرت بثلاث مكونات أساسية: الأمازيغ (الصنهاجيون)، ثم العرب، ثم الأتراك، وقد تركت كل حضارة بصمتها في الزخارف والتقنيات، فحروف التيفيناغ تعد من أبرز العناصر الزخرفية ذات الأصل الأمازيغي، بينما حافظ العرب على الألوان مع تطوير بعض التقنيات وإضافة تسميات جديدة، في حين أضفى الأتراك طابعا خاصا من خلال إدخال أنماط وتسميات مستمدة من لغتهم، كما يظهر عمق هذا التراث في وجود “الرام” (مصمم الزخارف)، ما يدل على تجذر الحرفة، وقد حافظت زربية جبال عمور على قيمتها الفنية رغم تطور الصناعات الحديثة، وتميزت بغنى ألوانها التي قد تصل إلى حوالي 20 لونا، يغلب عليها الأحمر والأسود والأبيض والأصفر والأخضر، مما يعكس ثراء النسيج الثقافي للمنطقة² (الصورة رقم 22).



¹ مطوية وزارة المؤسسات الصغيرة والمتوسطة والصناعة التقليدية والوكالة الوطنية للصناعة التقليدية، المرجع السابق.

² ق.م، زربية جبال عمور تعكس الزخم التراثي للولاية (الأغواط)، جريدة الحياة، العدد 1479، 2018، ص 16.

4.1.3 الزربية العاصمية:

هي زراي تصنع من صوف ناعم ودقيق، وتتميز بزخارف هندسية واضحة، مع أطراف مزينة بنقوش زهرية دقيقة، وتغلب عليها ألوان هادئة خاصة البني والأزرق.

5.1.3 زربية معاديد:

أصلها من منطقة المسيلة، وهي زربية تعكس هوية منطقة الحضنة، وتتميز بخصوصيات جمالية واضحة ونمط زخرفي مميز يعد من سماتها الأساسية.

6.1.3 زربية تلمسان:

توجد في غرب الجزائر، وهي زربية تصنع من صوف عالي الجودة ويعقد متقنة، وتتميز بزخارف هندسية واضحة، كما تعرف بألوانها الزاهية والمتناسقة التي تمنحها جمالية خاصة (الصورة رقم 23).



7.1.3 زربية قرقور:

زربية قرقور تنسج في منطقتي سطيف وبوقاعة، وقد امتد هذا النوع أيضا إلى منطقة برج بوعرييج، وتتميز هذه الزربية بتناسق ألوانها وجمال زخارفها، خاصة الزخارف الزهرية التي تمنحها طابعا فنيا نادرا ومميزا (الصورة رقم 24).



8.1.3 زربية غرداية:

زربية غرداية تتميز بحياكة دقيقة ورقيقة، وتزين بخطوط وألوان متنوعة تحمل زخارف مستوحاة من أشكال مألوفة ومنمقة، ويظهر في إنتاجها تأثير واضح بأساليب الزراي والحنايل المغاربية¹. تغلب على أرضيتها الألوان الحمراء، وتزين بتصاميم هندسية ونقوش مسننة بألوان زاهية مثل الأخضر، والعاجي، والأصفر، والأزرق، إضافة إلى البني والأسود، مما يمنحها طابعا جماليا مميزا² (الصورة رقم 25).



2.3 صناعة الزربية في تلمسان:

ترجع صناعة الزراي في ولاية تلمسان إلى تعاقب الحضارات التي مرت بالمنطقة منذ العصور القديمة، حيث امتهن السكان هذه الحرفة وأصبحت منتشرة خاصة بين النساء الماكثات في البيوت، وقد مارسنها في

¹ مطوية وزارة المؤسسات الصغيرة والمتوسطة والصناعة التقليدية والوكالة الوطنية للصناعة التقليدية، المرجع السابق.

² إيداد، حنان، أبو شقرا، السجاد الشرقي دراسة تاريخية وفنية وعلمية، ط 1، دار الساقى، لبنان، 2010، ص 301.

الأوساط الحضرية والريفية على حد سواء، سواء داخل المنازل أو في الورشات العائلية، مما جعلها جزءاً من الحياة اليومية والتقاليد المحلية¹.

يشير كل من ابن خلدون و Leo Africanus إلى أن صناعة الزرابي كانت، خلال القرنين الرابع عشر والسادس عشر، نشاطاً ذا أهمية كبيرة لدى سكان المدينة، ولا تزال الزربية التلمسانية تحتل مكانة متقدمة على المستوى الوطني، لما تتميز به من جودة وقيمة فنية عالية²، وقد كانت صناعة الزرابي في الماضي القريب موجهة للتصدير نحو الأسواق الخارجية، خاصة الأوروبية، حيث بلغت الكميات المصدرة أكثر من 450 ألف متر مربع سنوياً، وقد احتلت الزربية التلمسانية التقليدية مكانة الصدارة في تلك الأسواق، نظراً لجودتها العالية وقيمتها الفنية المميزة³، بحيث تعد صناعة الزربية في تلمسان حرفة حضرية متميزة، وقد نافست الزرابي الإيرانية والتركية من حيث الجودة والقيمة الفنية، كما كان هذا القطاع يشغل، حسب ما ورد في جريدة المساء، أكثر من 15 ألف عامل، مما يعكس أهميته الاقتصادية والاجتماعية⁴.

نذكر في تلمسان ثلاثة أنواع رئيسية من الأفرشة المنسوجة:

-أغطية من الصوف الخالص دون زخارف.

-أغطية ممزوجة بالقطن وتتميز بلونين.

-أغطية صوفية مزخرفة بزخارف هندسية⁵.

وهذه الأنواع تتمثل في:

- الحنبل:

هو نوع من المصنوعات النسيجية اليدوية التي اشتهرت بها تلمسان، ويستعمل كبساط يفرش لتزيين غرف المنازل أو كغطاء خلال فصل الشتاء، يتميز بالدقة والإتقان في النسج، ويصنع من صوف طبيعي غالباً ما يكون مصبوغاً.

¹ منشورات مديرية السياحة والصناعة التقليدية بتلمسان، ص 01.

² قدور رفيعة، مساهمة الحلّي التقليدية في التنمية بمنطقة تلمسان، ماجستير في أنتربولوجيا التنمية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تلمسان، 2012، ص 68.

³ منشورات مديرية السياحة والصناعة التقليدية بتلمسان، المرجع السابق، ص 01.

⁴ محمد العربي حرز الله، تلمسان مهد الحضارة وواحة ثقافة، ط 1، وزارة الثقافة، ص 435.

⁵ وزارة الثقافة، تلمسان، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2011، ص 62.

يتكون عادة من ألوان متعددة، كما يتميز بخفة وزنه، ويتراوح طوله بين مترين وثلاثة أمتار، بينما يتراوح عرضه بين نصف متر ومتر واحد (الصورة رقم 26).



- الحشايشي:

هو نوع من الأغطية مرتفع الثمن وقليل الطلب، ويعود ذلك إلى دقة صناعته وإتقانه، يتميز بزخارف هندسية ذات أصول قبائلية، وبألوان متعددة وزاهية، كما يعرف بثقله، يتطلب نسجه وقتا طويلا قد يصل إلى حوالي 15 يوما، ويستعمل سواء كغطاء أو كبساط، تعد زربية “الحشايشي” من النماذج التي عبرت لفترة طويلة عن أصالة تلمسان وعمق جذورها التاريخية، غير أنه لم يبق منها اليوم سوى نوع واحد معروف يسمى “البطنية”¹ (الصورة 27).



¹ عمر، صعوبات تعيق القطاع وتهدد زوال الحرف التقليدية، جريدة العالم، العدد 104، ص 9.

- البورابح:

يتميز هذا النوع بأرضية بيضاء تتخللها خطوط ملونة بلون واحد يعرف باسم "الماء والهواء"، كما يوجد نوع آخر يسمى "الحبة" يكون بلونه الأبيض فقط، دون أن يحتوي على أي زخارف أو خطوط، غير أن الطلب على "البورابح" قد تراجع بشكل كبير، لأنه لم يعد يعد من المفروشات الأساسية أو الضرورية في جهاز العروس¹.

أما "بورابح" المعروف باسم "الموضة"، فهو منسوج صوفي مغزول اشتهر في فترة معينة حتى سمي بهذا الاسم، يتميز بوجود خيوط رفيعة من الصوف المصبوغ بألوان مختلفة تتخلله بشكل متباعد، حيث تفصل بينها مسافات تقارب 15 سم، ويستعمل هذا النوع من المنسوجات في تغطية الجدران، كما يستخدم أيضا في المساجد على نطاق واسع² (الصورة 28).



- المحربل:

هو غطاء من الصوف منسوج بأشكال وألوان مختلفة، ويسمى "المحربل" نسبة إلى وجود كريات صغيرة من الصوف موزعة على سطحه³ (الصورة رقم 29).

¹ قريشي حسين، الصناعة الجلدية في الجزائر "صناعة الجلود بتلمسان أنموذجا"، شهادة ماستر، كلية الآداب واللغات، دراسات فنون تشكيلية، تلمسان، 2017، ص 16

² بن خالدي خولة، ورشات النسيج التقليدي بمدينة تلمسان "دراسة ميدانية"، شهادة ماستر، آثار المغرب الإسلامي، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، 2018، ص 40

³ Ministre de la petite et moyenne entreprise et de l'artisanat, « Dictionnaire de l'artisanat traditionnel », P 200.



كانت النساء تنسجن الزربية بأسلوب تقليدي يعتمد على الإبداع الشخصي، حيث يقمن بتجسيد رسومات مستوحاة من الطبيعة والعناصر المحيطة بهن باستخدام ألوان متنوعة، وقد ساهم هذا الأسلوب في تميز الزربية التلمسانية من حيث الإبداع والجودة والدقة في الإنجاز، ويتم نسج الزربية باستعمال “مجسمات” عبارة عن ورقة مقسمة إلى مربعات صغيرة يرسم عليها تصميم الزربية المراد إنجازها من حيث الشكل والألوان، وتمثل عادة ربع الزربية فقط، كما تساعد هذه التقنية في تحديد عدد العقد بدقة، ثم ينقل التصميم إلى الزربية وفق مقاييس وتقنيات محددة، مع إجراء عمليات حسابية لضبط النسيج¹.

4.. خاتمة:

في الختام، يمكن التأكيد على أن الزربية الجزائرية ليست مجرد منتج تقليدي ذو طابع جمالي أو وظيفة استعمالية، بل تعد وثيقة أثرية حية ومرآة صادقة للهوية الثقافية الجزائرية، لأنها تحتزن في زخارفها وألوانها رموزا ودلالات تعكس البيئة المحلية وأنماط العيش والتحولات الاجتماعية عبر الزمن.

وكما سبق وذكرنا من أمثلة عن الزرابي الجزائرية، نجد تنوعا كبيرا يعكس ثراء هذا التراث، مثل زربية النمامشة (بابار) المعروفة بدقتها وألوانها الأصيلة، وزربية غرداية ذات الطابع الهندسي والألوان المتناسقة، وزربية جبال عمور التي تحمل رموزا تعكس تداخل حضارات متعددة، إضافة إلى الزرابي الغريبة ذات الجودة العالية والتصاميم البسيطة أو المزخرفة، أما زربية تلمسان خاصة، فقد تميزت بمكانة رائدة تاريخيا، حيث نافست الزرابي

¹ منشورات مديرية السياحة والصناعة التقليدية بتلمسان، المرجع السابق، ص 07.

الإيرانية والتركية، وبلغت شهرة واسعة بفضل دقتها وجودتها الفنية وثراء زخارفها، مما جعلها عنصرا اقتصاديا وثقافيا مهما.

وبذلك، فإن الزربية الجزائرية عموما والتلمسانية خصوصا لا تحتل في بعدها الحرفي فقط، بل تمثل مصدرا تاريخيا غير مباشر يساعد على قراءة الماضي وفهم الهوية الثقافية، ويجعلها ركيزة أساسية في حفظ التراث الوطني واستمراره عبر الأجيال.

5.. الببليوغرافيا:

القران الكريم:

المراجع باللغة العربية:

1. بن خنافو حياة فتيحة، فن الزخرفة الخطية في الصناعات التقليدية بتلمسان "دراسة تاريخية فنية"، رسالة ماجستير في الثقافة العربية، تخصص فنون شعبية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تلمسان، 2015.
2. بن عبد الله رشيدة، تصميم إعلان لمهرجان المنسوجات التقليدية الجزائرية - زربية غرداية أنموذجا-، مذكرة ماستر غرافيك، قسم الفنون البصرية، كلية الأدب العربي والفنون، مستغانم، 2020.
3. أحمد أبا الصافي جعفري، اللهجة التواتية الجزائرية معجمها بلاغتها أمثالها حكمها وعيون أشعارها، منشورات الحضارة للنشر والتوزيع.
4. ناهض عبد الرزاق القيسي، الفنون الزخرفية العربية والإسلامية، دار المناهج للنشر والتوزيع، الأردن، 2009.
5. أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط 1، مجلد 1، عالم الكتب، 2008.
6. وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان الإسلامية بين التراث العمراني والمعماري والميراث الفني، ج 2، أعمال ملتقى دولي بتلمسان، 2011.
7. عبد المعطي بن محمد عبد المعطي سمسم، المنظور الاجتماعي والاقتصادي للحرف والصناعات بمكة قبيل البعثة من خلال كتاب الفاكهي، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، العدد 26، جامعة بابل، 2016.
8. شريف محمد عوض، الصناعات الحرفية طريق للتنمية المستدامة، مجلة الفنون الشعبية، العدد 89، 2011.
9. فاطمة سوري، الصناعات التقليدية كمصدر لترقية السياحة والاستثمار السياحي منطقة احقار غودجا، مجلة الاجتهاد للدراسات القانونية والاقتصادية، العدد 05، المجلد 07، 2018.
10. مرزوق عبد العزيز، الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1974.
11. منشورات مديرية السياحة والصناعة التقليدية بتلمسان.
12. محمد عبد الله الدرايسة، الفنون الصناعية والحرف اليدوية، ط 1، دار المستقبل للنشر والتوزيع، عمان، 2011.



13. حمادي خالد، عبعوب جبارية، الصناعات التقليدية جسر أصالة بين الجلفة وغرداية البرنوس والقشابية الجلفاوية- الزربية الغرداوية، مذكرة ماستر، تخصص إذاعة وتلفزيون، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية.
14. ذهبية أيت قاسي، الثقافة الشعبية في البرامج الثقافية الناطقة بالأمازيغية في التلفزيون الجزائري (القناة الرابعة) دراسة وصفية تحليلية لبرنامج تونزا، شهادة ماجستير، تخصص علوم الإعلام والاتصال، المدرسة الدكتورالية للعلوم الاجتماعية والانسانية، وهران، 2010.
15. مطوية وزارة المؤسسات الصغيرة والمتوسطة والصناعة التقليدية والوكالة الوطنية للصناعة التقليدية، صناعة تقليدية أصالة إبداع، 2007.
16. زربية بابار الجزائرية تراث المرأة الأوراسية المهدد بالاندثار، صحيفة العرب، العدد 10106، 2015.
17. ق.م، زربية جبال عمور تعكس الزخم التراثي للولاية (الأغواط)، جريدة الحياة، العدد 1479، 2018.
18. إيراد، حنان، أبو شقرا، السجاد الشرقي دراسة تاريخية وفنية وعلمية، ط 1، دار الساقى، لبنان، 2010.
19. منشورات مديرية السياحة والصناعة التقليدية بتلمسان.
20. قدور رفيدة، مساهمة الحلّي التقليدية في التنمية بمنطقة تلمسان، ماجستير في أنثروبولوجيا التنمية، كله العلوم الإنسانية والاجتماعية، تلمسان، 2012.
21. محمد العربي حرز الله، تلمسان مهد الحضارة وواحة ثقافة، ط 1، وزارة الثقافة.
22. وزارة الثقافة، تلمسان، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2011.
23. عمر، صعوبات تعيق القطاع وتهدد زوال الحرف التقليدية، جريدة العالم، العدد 104.
24. قريشي حسين، الصناعة الجلدية في الجزائر "صناعة الجلود بتلمسان أمودجا"، شهادة ماستر، كلية الآداب واللغات، دراسات فنون تشكيلية، تلمسان، 2017.
25. بن خالدي خولة، ورشات النسيج التقليدي بمدينة تلمسان "دراسة ميدانية"، شهادة ماستر، أثار المغرب الإسلامي، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، 2018.
26. عمر، صعوبات تعيق القطاع وتهدد زوال الحرف التقليدية، جريدة العالم، العدد 104.

المراجع باللغة الأنجليزية:

27. Ministre de la petite et moyenne entreprise et de l'artisanat, Dictionnaire de l'artisanat traditionnel,